علم الدلالة الإدراكي: المبادئ و التطبيقات

أستاذة علم اللغة المساعدة
الدكتورة دلخوش جارالله حسين دزه يى
جامعة صلاح الدين أربيل / كلية اللغات / قسم اللغة العربية

الملخص العربي

هذا البحث محاولة بشأن (علم الدلالة الإدراكي /Cognitive Semantics) الذي يعد من أحدث المباحث اللسانية ،ويشكل مستوى من مستويات اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics) ،الذي يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام ،وفهم فحواه،إذ إن اللسانيات الإدراكية لها علاقة باللسانيات النفسية واللسانيات الذهنية والمهارات الإدراكية ،وفلسفة الذهن والذكاء الاصطناعي وعلم النفس الإدراكي ،ولها تحقق في ظواهر إدراكية وذهنية كثيرة ،وقد برهن اللغويون في هذا المجال على أن الاستعارات والمجازات والفنون البلاغية برمتها حاضرة في مناحي التفكير الذهني وفي كل مجالات الحياة اليومية ،وغير مقتصرة على اللغة الأدبية والزخارف البلاغية والخيال الشعري، بمعنى أنها انتقلت من النظر إليها على أنها ظاهرة لغوية تتجسد في كونها محض اختيار أسلوبي، إلى النظر إليها على أنها ظاهرة إدراكية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء أنساقه التصورية Conceptual Systems وتشفير بناه ونماذجه المعرفية. بناء على ذلك يمكن معالجة الظواهر البلاغية واللغوية معالجة ذهنية إدراكية بمعزل عن التحليلات والمقولات التي تحصرها في آليات الصناعة اللغوية بالبحث في الاستراتيجيات الذهنية والتصور المعرفي. وقد انبنى هذا العلم أساساً على التحليل المفهومي والتصوري للأنظمة اللغوية المستعملة ،استناداً إلى التجارب البشرية في العالم ،والخيط المشترك والرابط بين جميع القدرات العقلية الداخلية ،ممّا يشكل قناة إدراكية تأويلية بين المدركات التصورية أوالتخييلية والحسية ، لأن إنتاج المعنى

لايقتصرعلى البنى اللغوية ،وإنما يتعداها إلى شتى جوانب العقل الإنساني ، وذلك من منطلق أن اللغة تشتغل بذات الأسس التي تشتغل بها الآليات الإدراكية في الملكات العقلية الأخرى.

ولحداثة هذا الميدان اللساني الدلالي ، وغياب الممارسات اللسانية المترجمة ، وندرة الدراسات العربية بشأنه ،ورغبة منّا في ولوج اتجاهات البحث اللساني الحديث والتعرف على أهم منطلقاتها وأهدافها ،وعدم الانحباس في بوتقة الدراسات التقليدية التي غلبت عليها سمة الاجترار، ارتأينا إجراء هذه الدراسة حول هذا التوجه الدلالي المعاصر،على مستوى التنظير والتطبيق ،إذ قارب هذا البحث مبادئ علم الدلالة الإدراكي وأسسه ونظرياته من التفكير اللغوي العربي بإبراز أوجه التلاقي والتشابه بين هذا العلم واللغويات العربية عموماً ، فضلاً عن بلوغ هذه المحاولة مجال تأويل بعض النماذج العربية والنصوص القرآنية بقراءتها قراءة ثانية ،في ضوء آليات علم الدلالة الإدراكي التحليلية التفسيرية ، لم يكن لها سبق في هذا المنظار التطبيقي التأويلي الإدراكي.

فسار البحث على محورين جوهريين ولاسيما في مباحثه المتعلقة بشرح المبادئ والنظريات ،محور يعتني ببيان المعطيات النظرية ، ومحور آخر يوضح هذه التنظيرات بنقلها إلى حيّز التطبيق والتفسير بممارستها ومعالجتها في دائرة النصوص العربية لتقترب من الأفهام وتنتقل من جفاف التنظير إلى خصوبة التطبيق ، وذلك بإغناء الأفق النظري بالآفاق التطبيقية المتعددة والمتنوعة بالنصوص والنماذج المقتبسة من الإرث اللغوي العربي.

المقدمة

لايُنكر أن الدراسات والتوجهات اللغوية لها قابلية التطور والاستحداث ،حالها حال العلوم والقوانين الطبيعية التي تستجد حسب مستجدات الحياة والقدرات التفكيرية لدى بني البشر ، واستجابة لمبدأ التطور ورقي الفكراللغوي للباحثين في حقل اللسانيات الحديثة ، بزغت اتجاهات ورؤى لغوية معاصرة تبحث في أعماق الفكر البشري والمنظومة المفهومية العاملة على إيجاد النظام الكلامي بكل أسسه ومرتكزاته ، وانطلاقاً من ذلك ظهر اتجاه لساني حديث في اللسانيات الغربية عُرف ب (علم الدلالة الإدراكي) ، الذي انبنى أساساً على التحليل المفهومي والتصوري للأنظمة اللغوية المستعملة ،استناداً إلى التجارب البشرية في العالم ،والخيط المشترك والرابط بين

جميع القدرات العقلية الداخلية ،ممّا يشكل قناة إدراكية تأويلية بين المدركات التصورية أوالتخييلية والحسية ، لأن إنتاج المعنى لايقتصرعلى البنى اللغوية ،وإنما يتعداها إلى شتى جوانب العقل الإنساني ، وذلك من منطلق أن اللغة تشتغل بذات الأسس التي تشتغل بها الآليات الإدراكية في الملكات العقلية الأخرى.

ولحداثة هذا الميدان اللساني الدلالي ، وغياب الممارسات اللسانية المترجمة ، وندرة الدراسات العربية بشأنه ،ورغبة منّا في ولوج اتجاهات البحث اللساني الحديث والتعرف على أهم منطلقاتها وأهدافها ،وعدم الانحباس في بوتقة الدراسات التقليدية التي غلبت عليها سمة الاجترار، ارتأينا إجراء هذه الدراسة حول هذا التوجه الدلالي المعاصر،على مستوى التنظير والتطبيق ،إذ قارب هذا البحث مبادئ علم الدلالة الإدراكي وأسسه ونظرياته من التفكير اللغوي العربي بإبراز أوجه التلاقي والتشابه بين هذا العلم واللغويات العربية عموماً ، فضلاً عن بلوغ هذه المحاولة مجال تأويل بعض النماذج العربية والنصوص القرآنية بقراءتها قراءة ثانية ،في ضوء آليات علم الدلالة الإدراكي وتوجهاته التحليلية التفسيرية ، لم يكن لها سبق في هذا المنظار التطبيقي التأويلي الإدراكي.

فسار البحث على محورين جوهريين ولاسيما في مباحثه المتعلقة بشرح المبادئ والنظريات ،محور يعتني ببيان المعطيات النظرية ، ومحور آخر يوضح هذه التنظيرات بنقلها إلى حيّز التطبيق والتفسير بممارستها ومعالجتها في دائرة النصوص العربية لتقترب من الأفهام وتنتقل من جفاف التنظير إلى خصوبة التطبيق ، وذلك بإغناء الأفق النظري بالآفاق التطبيقية المتعددة والمتنوعة بالنصوص والنماذج المقتبسة من الإرث اللغوي العربي.

علم الدلالة الإدراكي Cognitive Semantics – المبادئ والتطبيقات-

التوطئة

يعد علم الدلالة الإدراكي Cognitive Semantics من أحدث المباحث اللسانية ،ويشكل مستوى من مستويات اللسانيات الإدراكية (Cognitive Linguistics) ،الذي يهتم بالجانب العقلي والعمليات الذهنية والقدرات الإدراكية المساعدة في عملية تحليل الكلام ،وفهم فحواه،إذ إن"اللسانيات الإدراكية لها علاقة باللسانيات النفسية واللسانيات الذهنية والمهارات الإدراكية ،وفلسفة الذهن والذكاء الاصطناعي وعلم النفس الإدراكي ،ولها تحقق في ظواهر إدراكية وذهنية كثيرة "[١]،وقد برهن اللغويان (لايكوف وجونسن) على أن الاستعارات والمجازات والفنون البلاغية برمتها حاضرة في مناحي التفكير الذهني وفي كل مجالات الحياة اليومية ،وغير مقتصرة على اللغة الأدبية والزخارف البلاغية والخيال الشعري[٢]. بمعنى أنها انتقلت من النظر إليها على أنها ظاهرة لغوية تتجسد في كونها محض اختيار أسلوبي، إلى النظر إليها على أنها ظاهرة إدراكية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء أنساقه التصورية Conceptual Systems وتشفير بناه ونماذجه المعرفية[٣].

بناء على ذلك يمكن معالجة الظواهر البلاغية واللغوية معالجة ذهنية إدراكية بمعزل عن التحليلات والمقولات التي تحصرها في آليات الصناعة اللغوية بالبحث في الاستراتيجيات الذهنية والتصور المعرفي.

الأفق اللغوي والاصطلاحي لعلم الدلالة الإدراكي

جدير بالتنويه أن المفهوم اللغوي والاصطلاحي ل(علم الدلالة) معروف عند الدارسين لكثرة الدراسات التي عالجته ،لذا يركز البحث على التأصيل اللغوي والمفهومي لمفردة (الإدراك)،التي وردت في المعجمات العربية بمعنى الإحاطة الفكرية والمعرفية بالمدركات التي يتفاعل معها العقل البشري،فجاء في لسان العرب"الدرك:اللحاق،وقد أدركه ،ورجل درّاك:مدركً كثير الإدراك ،....والدَّرَك:اسم من الإدراك مثل اللَّحَق،وفي الحديث:أعوذ بك من دَرْك الشَّقاء،الدَّرْك:اللَّحاق والوصول إلى الشئ ،أدركته إدراكا ودركا ....والإدراك :اللحوق ....وأدركته ببصري أي رأيته ، وأدرك الغلامُ وأدرك الثمرُ أي بلغ ،.... وأنشد للأخطل :-

وأدرك علمي في سُوَاءَةِ أنها تقيم على الأوتار والمشرَبِ الكدِرِ

أي أحاط علمي بها أنها كذلك."[٤]ولم تخرج المعجمات الأخرى [٥]عن هذا التأويل الدلالي لمادة (الإدراك والدرك).

يفهم من ذلك أن الإدراك يأتي في الدائرة اللغوية بمعنى البلوغ واللحاق بالشئ المراد فهمه واستيعابه بدخوله إلى نطاق الذهن وإخضاعه للعمليات العقلية ، ولايُستبعد المفهوم الاصطلاحي لعلم الدلالة الإدراكي عن هذا المفهوم اللغوي للإدراك ،لأن هذا العلم يبحث عن المجال المعرفي والتصوري للعقل البشري في تعامله مع العالم وكيفية تفاعله مع المحيط الخارجي والمدركات الموجودة فيه [٦]، ويركز أيضا "على التمثيلات الذهنية والصيرورات الإدراكية".[٧]ويؤكد حقيقة مفادها أن تعريف صنف لغوي وتحليله يستدعي وصفا وتحليلا شاملا لكل عناصره وجزئياته وليس تعريفا وتحليلا مجردا له ، لأن النظرة الإدراكية إلى اللغة هي أنها جزء من المعرفة الموسوعية العامة ، ويعد الإدراكيون اللغة ملكة ذهنية إدراكية ،لأنها أداة لتنظيم المعلومات والخبرات ومعالجتها ونقلها ،وتمثل الدلالة نواتها[٨] .

إن علم الدلالة الإدراكي يُوظف في تحليل أنماط الصورة والمجازات المفهومية ، لأن المفاهيم المجردة والمجازية ، مثل (الكرم ،المروءة ، النظام ، الحقيقة، الأخلاق....إلخ) مرتبطة ارتباطا كليا بالتجارب المادية المحسوسة الأساسية والمتكررة المقترنة بها ،وهذا الارتباط الحقيقي هو الكفيل بخلق دلالة المجردات ، وبهذا تشكل التجارب البشرية والترسبات المعرفية المادة الخام للبناء الإدراكي الذي يمكن تفصيله وتجسيده دلاليا ومجازيا ضمن بيئة ورؤية خاصتين للعالم[٩].

التأصيل التأريخي لنشأة علم الدلالة الإدراكي

يعد كل من اللغويين (ليكوف/Lakoff) و(تايلر/Taylor) و(لانكيكير/Langacker) من رواد هذا العلم اللساني الحديث ،لأنهم أصدروا في أوائل السبعينات كتابات ومقالات حملت توجهات معرفية إدراكية أولية مهدت السبيل لبزوغ هذا المنهج الدلالي[١٠]،الذي يمكن أن يعد ثورة على التوجهات الدلالية والمناهج اللغوية المتفقة على الفصل بين المعرفة اللغوية وبين التفكير الموسوعي العام ،إذ ساد لعقود عديدة مفهوم كانت للتوليديين الريادة في نشره ،مفاده أن جزءا خاصا من العقل البشري الذي سمّوه (بالملكة اللغوية /Language Faculty) ،يتكفل مسؤولية إنشاء المفاهيم اللغوية وتنظيمها ،وهو بمعزل عن الأجزاء الأخرى المسؤولة عن الأفعال الذهنية الأخرى،وكانت ل(جومسكي/Chomsky) والفيلسوف (فودر/Fodor) ،اليد الطولى في الترويج لهذا المفهوم[١١].وقد أحدث هذا العلم الحديث أيضا ثورة على البنيوية التي كانت مستندة أساسا إلى المذهب السلوكي النفسي في جعل اللغة عادات ومعارف مكتسبة اجتماعيا ،مؤمنا بعملية الاقتران بين الحافز والاستجابة القائمة أصلا بين الدوال والمدلولات[١٢]. فأكد علم الدلالة الإدراكي أن "المعرفة اللغوية جزء من الإدراك العام "،[١٣] وليس ثمة حاجز بين المعرفة اللغوية والمعارف العقلية العامة،ردا على التوليديين الذين يرون أن اللغة قابلية عقلية منفصلة مدعومة بصيغ خاصة من المعرفة – كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ،وأن المعرفة بالتراكيب والصيغ اللغوية مقدرة مستقلة بذاتها عن الأفعال الذهنية الأخرى ،كالانتباه والتذكر والتعليل والتعلم....إلخ. وبناء على ذلك فصلوا بين المستويات اللغوية في التحليل بجعل النظام الفوناتيكي و الفونولوجي والتركيبي والدلالي أنماطا لغوية مستقلة في ميدان التحليل اللغوي مركزين على الجانب الشكلي خلافا لما يتجه إليه الإدراكييون في الإقرار بعدم صحة الفصل بين المستويات اللغوية وعد المفهوم الدلالي المنطلق الأساسي في الهيكل اللغوي ، وهذه النظرة نادى بها الوظيفيون قبل الإدراكيين الذين أيدوا رؤاهم وتوجهاتهم اللغوية،ويتفق الفريقان على أن مبادئ استخدام اللغة قائمة على مبادئ إدراكية أعم ، وبأن التحليل اللغوي يجب أن يتخطى الحدود الفارقة المرسومة بين المستويات اللغوية ، لذا أن الاختلاف القائم بين اللغة كونها نتاجا عقليا ،وبين الأفعال العقلية الأخرى ،اختلاف في الدرجة وليس في النوع[١٤]،وعليه تغافلت البحوث الدلالية الإدراكية الفارق الذي يكون بين المعرفة اللغوية والمعرفة الموسوعية أوالمعرفة بالحياة الواقعية ، مما يستدعي انصهار القدرة اللغوية في القدرات العقلية الأخرى.

ويرى الإدراكييون – شأنهم في ذلك شأن الوظيفيين- أن الفصل بين المستويات اللغوية قد يكون وسيلة نافعة للوصف العملي ،إلا أنه يضر بالمفهوم العام للغة ،فعلى سبيل المثال ،لايمكن أن يستقل النحو عن الدلالة أوالتداولية ،ولايمكن تفسير النماذج النحوية باستعمال النماذج النحوية المجردة ،وإنما من خلال مقصدية المتكلم ومراده من ذلك الكلام في سياق معين ، وبهذا تهدف الدلالة الإدراكية إلى أن تعيد الدلالة إلى خضم النحو ،ليكون النحو نحوا دلاليا لاشكليا معياريا ،لرؤيتهم القائمة على أن العقل هو أساس اللغة ،ويستحيل ضبط اللغة بالقواعد المجردة ،بل بالمواقف والاستعمالات المختلفة اللتين تحددان الدلالة المرادة التي تتنوع بتنوع هذه المواقف والاستعمالات ،وهذا مادفعهم إلى ربط الدلالة بالتداولية وبالنحو،أي المزج بين جميع المستويات اللغوية[١٥].

المبادئ الأساسية لعلم الدلالة الإدراكي وآفاقها التطبيقية في الاستعمال اللغوي

تتجمع آراء الإدراكيين في طائفة من المبادئ[١٦] الجوهرية والأسس النظرية التي تشكل العمود الفقري لعلم الدلالة الإدراكي ،التي تتجلى فيما يأتي:-

١-إن صناعة المعنى تستدعي معرفة موسوعية وغير مقتصرة على المعرفة اللغوية فقط، بمعنى آخر أن المعرفة المجردة بالقوانين اللغوية ليست كافية لصناعة المعنى. لأنهم يرون "أن التصميم العام للغة لايمكن في جهاز معين للقدرة على اكتساب اللغة بل إن المبادئ العمومية متجذرة في العملية الإدراكية "[١٧]،وهذا مادعا إليه الجرجاني في نظرية النظم بقوله "إن النظم يجب أن يكون بمقتضى مافي العقل"[١٨]

٢-التفصيل في شرح المعنى والصياغة الدلالية للمكونات اللغوية يتعدى حدود الدلالة، لذا يرى الإدراكيون أنه لاحاجز بين الدلالة والتداولية ،لمرونة المعنى وديناميكيته ،واكتسب ذلك من ارتباطه بالمواقف الخارجية والظروف الحياتية اليومية، ولقدرته على تشكيل العالم الخارجي "مما يعني أن المعنى اللغوي يتكامل مع جوانب التجربة أو الخبرة الأخرى ،ويعد هذا الأمر تغيّرا جوهريا في المجرى العام للدرس اللساني الذي ساد في القرن العشرين ،إذ كان ثمة اتجاه عام لغرض التمييز التركيبي للغة ومستوى الاستعمال وهو التمييز الذي مثلته ثنائية دي سوسير (اللغة والخطاب)"[١٩].

ويلحظ أن البلاغيين قدسبقوا الإدراكيين في التفطن إلى هذا الاقتران بين اللغة والاستعمال الذي لاح في حكمهم على الكلام البليغ بوجوب"مطابقته لمقتضى الحال "[٢٠] وبقولهم "لكل مقام مقال"[٢١]

٣- أغلب الأساليب البلاغية ولاسيما(فنون البيان) ماهي إلاّ استراتيجيات وآليات وميكانزمات ذهنية ،بها يدرك الإنسان معنى الأشياء من حوله ، إذ إنّ العقل البشري قاصر عن إدراك المفاهيم المجردة ،لذا يلجأ إلى المجاز لتقريب المفاهيم المجردة من المدركات الحسية، وبهذا لاينحصر المجاز في كونه أسلوبا جمالياً أدبياً لغوياً ،فهو أوسع من ذلك أي هو عملية ذهنية إدراكية بحتة ، "ذلك أنّ منظومتنا الذهنية الأساسية هي في الأساس ذات طبيعة استعارية"[٢٢]،كما يفهم ذلك في قوله تعالى :"الله نور السموات والأرض مثلُ نوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجةٍ الزجاجةٌ كانها كوكبٌ درّيٌّ يُوقَد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لاشرقيةٍ ولاغربيةٍ يكادُ زيتُها يُضئ ولو لم تمسَسهُ نارٌ، نورٌعلى نورٍ يهدي اللهُ لنورهِ مَن يشاءُ ويضربُ اللهُ الأمثالَ للناسِ واللهُ بكلِّ شئٍ عليمُ"[٢٣] فقد أكد الله أنه يضرب الأمثال ويذكر الأمور الواقعية الماثلة أمام الأعيان ليستوعبها الناس ويفقهون مضامينها، وقد فعل جل جلاله ذلك في سياق هذا النص الكريم معبراً عن الذات الإلهية –التي هي مطلقة التجرد بدليل قوله تعالى "ليسَ كَمثلِهِ شئٌ"[٢٤]- بنور السموات والأرض ،لأن مفهوم (النور) وإن كان مجرداً أيضاً لكن نسبة تجرده أقل من مفهوم (الله) ،لقابلية العقل البشري على تصوره اعتمادا على إدراكه لمعنى النور وقدرته على تصوره وتجسيده ، ثم بدأ بالتمثيل ل(النور) بمجموعة مدركات حسية قريبة من الفهم والإدراك البشري ،وهي (مشكاة ،مصباح ، زجاجة ، كوكب دري ،شجرة مباركة زيتونة ، لاشرقية ، لاغربية ،زيت)، وذلك لتترسخ هذه الصورة الحسية المعبرة عن مفاهيم مجردة دقيقة وعميقة في أذهان المتلقين استنادا إلى الوصف والتمثيل الواقعي المقتبسة مكوناتُه من العالم البشري المحسوس باستراتيجية الاستعارة الموظفة في خدمة هذا التفسير الدلالي، وهذا ماأكده المفسرون بذهابهم إلى أنَ ".النور عند العرب :الضوء المدرك بالبصر واستعمل مجازا في المعاني فيقال كلام له نور"[٢٥]، ومثل هذا التفسير الدلالي الرابط للمجرد بالمحسوس لتقريبه من المنظومة الذهنية ينطبق على قوله تعالى "لتُخرجَ الناسَ منَ الظلُمات إلى النُور"[٢٦]، في التعبير عن مفهوم (الضلالة) المجرد ب(الظلمات) المحسوسة ،ووصف مفهوم (الهداية) المجرد ب(النور) المحسوس الذي يرى أثره الفعلي والمباشر من الضوء. وأسطع دليل على ذلك قوله تعالى في الرسول (ص) " وداعياً إلى اللهِ وسِراجاً مُنيراً " [٢٧]مشبها إياه بنور الشمس لِما بلّغ به الناس من الإيمان والهداية بحيث يهتدى به في الظلمات كما يهتدى بنورالشمس، وقد فاض الخطاب القرآني بهذه النماذج التمثيلية للمدركات المجردة بالصورالحسية حتى غدا هذا الأسلوب التصويري في التعبير مذهباً مقرراً وخطة موحدة وخصيصة شاملة ولونا من ألوان إعجازالقرآن ،يَفتنّ في استخدامها بطرائق شتّى وأوضاع متنوعة،كما يفهم ذلك في وصفه

التصويري التجسيدي للغاوي الذي انسلخ من آيات الله ولم يستجب لنداء السماء والشريعة الإلهية ،بالكلب الذي يلهث في غير انقطاع ،وهذا جليّ في قوله عزّ ذكره:"واتلُ عليهم نَبأَ الذي آتيناهُ آياتِنا فانسلخَ منها فأتبَعَهُ الشَّيطانُ فكانَ منَ الغاوينَ ولوشِئنَا لَرَفعناهُ بها ولكنَّهُ أخلدَ إلى الأرضِ واتّبعَ هواهُ فمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إن تَحمِل عليهِ يَلهَث أوتَترُكهُ يَلهَث"[٢٨]،ويعرض صورة حسية واقعية للكفار الذين لاينالون القبول عند الله ولايدخلون الجنة بقوله العزيز:"إنّ الذّينَ كذّبوا بآياتِنا واستكبَروا عنها لاتُفَتَّحُ لهُم أبوابُ السَّماءِ ولايدخُلونَ الجَنَّةَ حتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ"[٢٩]،ويرسم صورة تجسيدية أخرى للذين كفروا بتمثيل أعمالهم برماد تذروه الريح وتذهب به بدداً إلى حيث لايجتمع أبداً، بقوله الكريم :"مَثَلُ الذينَ كَفَروا بربِّهم أعمالُهُم كَرَمادٍ اشتدَّت بهِ الرّيحُ في يومٍ عاصِفٍ لايَقدِرونَ مِمّا كَسَبوا على شَئٍ "[٣٠]،وينقل الخطاب القرآني صورة مجردة للصدقة التي تبذل رياء ويتبعها المن والأذى ولاتثمر شيئا ولاتبقى في صورة متخيلة على النحو الآتي:"ياأيُّها الذينَ آمَنوا لاتُبطِلوا صَدَقاتِكُم بالمَنِّ والأذى كالذي يُنفِقُ مالَه رِئاءَ الناسِ ولايُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفوانٍ عليهِ تُرابٌ فأصابَهُ وابلٌ فترَكَهُ صَلداً"[٣١]

ويستنتج مما سلف أنّ الإنسان يفهم المحسوسات حوله عبر القنوات الحسية الخمسة مباشرة ، أما المجردات فيفهمها بذات القنوات ،ولكن بصورة غير مباشرة،وذلك بتقريب المجردات من المحسوسات ،لأنها – على حد قول الفيلسوف واللغوي مارتي – تمثلات مفهومية مضمَّنة في التمثلات الحسية[٣٢]،كما تبين في التمثيل الدلالي للآيات الكريمة، إذ إن الأسلوب القرآني "يعبر بالصورة المُحسَّة المتخيلة عن المعنى الذهني ،والحالة النفسية "[٣٣]، ويلحظ ذلك أيضاً في بعض الأقوال المأثورة أو النماذج التركيبية في العربية ،فعلى سبيل المثال يقال لمن يُراد أن تُبدى له الطاعة (سمعا وطاعة) ،فاقترنت (الطاعة) التي هي مفهوم مجرد ب(السمع) ليكون هذا المكون الحسي وسيلة للتعبير عن هذا المفهوم المجرد وتصويره،ويُقرن مفهوم (الفهم والإدراك) المجردين بالرؤية الحسية، فيقال (أرى أنك) بمعنى الاعتقاد أو الإدراك والفهم الذاتي، فالإنسان إذا رأى شيئا فهمه وأدركه واستوعب مكوناته عقليا، فكأن للبصيرة عيناً أيضاً ،إذافتحتها فهمت الأشياء ، وهذا بحد ذاته تشبيه ضمني للعقل - الذي هو مفهوم مجرد- بالإنسان الذي إذا فتح عينيه رأى الأشياء واستوعبها ، وهكذا حال العقل.

٤-قواعد اللغة هي بحد ذاتها عملية تنظيم إدراكي للمفاهيم ،من دونها تصبح المفاهيم مشتتة ، ويصعب إدراكها ،فمثلا القواعد التركيبية (النحوية) ليست أنظمة لغوية فحسب ،بل هي منظومة ذهنية ،ومن هنا يرى الإدراكيون أنه لافرق بين اللغة الحقيقية واللغة المجازية، لأن كلتيهما وسائل للتعبير عن الإدراك العقلي ، وقد أصاب اللغويون العرب القدماء حينما نظروا إلى النحو على أنه العلة التي تحكم ترابط الأشياء وتماسكها تماسكا محكم التنظيم [٣٤]، استنادا إلى التنظيم والترابط العقلي للبشر في رؤيتهم لهذه الأشياء،وهذا التوجه بحد ذاته تأييدٌ لهذا المبدأ الإدراكي ،وكماتقول (د.لبانة مشوح) إنّ الفراهيدي - بقوله :"إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها. وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله."[٣٥]– قدسبق بعشرة قرون اللسانيات الإدراكية في محاولاتها الإجابة عن السؤال الكبير كيف يعمل الدماغ البشري باللغة إدراكاً وتوليدا [٣٦] .

نظريات علم الدلالة الإدراكي في المجال التنظيري والتطبيقي

يمكن بيان أهم النظريات الدلالية[٣٧] التي تستند إليها الدلالة الإدراكية في تفسير الآليات الإدراكية أو العقلية لإنشاء المعنى ،(Meaning Construction) فيما يأتي:-

١. نظرية المخطط الصوري (Image Schemas) التي تنسب إلى اللغوي (هامب Hampe) ، وبناءً على ذلك تكون الصور البلاغية صوراً مجازية معتمدة على صور يرسمها العقل البشري حسب الوسائل المادية المحسوسة لاستيعابها ،فعلى سبيل المثال ،تصور الكرم والسخاء في أرقى تمثيلاته وأبلغها يكون بتشبيه صاحبه بالبحر أو بشخصية معروفة بالكرم اللامتناه ،مثل (حاتم الطائي) ،وكذلك تصور الشجاعة يكون بإقرانها بالأسد ، وفي ضوء هذا المنهج يكون هناك (الحقل أوالمجال/ الهدف Target) الذي يتمثل في النماذج العقلية المجردة ، و(الحقل أوالمجال/ المصدر Source) الذي يتجسد في الفضاء الواقعي الملموس الأساس،يُربط بينهما في نطاق الصورالاستعارية المجازية لإدراك المصدروهضمه وصولا إلى الهدف الإدراكي العقلي ،و" إن الربط و التداخل المعقد بين الحقلين او الفضائين الذهنيين يهدف الى مضاعفة المعنى و من ثم تكون الاستجابة إعادة إنتاج للنص الذي يحتوي على الاستعارة ، لذا يمكن دراسة الاستعارة التعبيرية و الحقول الإدراكية أو الفضاءات الذهنية بمقارنة ملموسية الحقل المصدر و تجريدية الحقل الهدف أما فضاء التوليف أو الربط فيعمل على تفعيل ما هو موجود في أذهان المتلقين"٣٨ وهي "في الحقيقة مسألة تتعلق بدراسة طبيعة التفكير الإنساني، وطبيعة عمل الذهن البشري في تشييد معرفته بالعالم وبعلاقاته بهذا العالم"[٣٩] ،وهذه الصورة المجازية الإدراكية نراها في قوله تعالى :"وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ"[٤٠]،في الربط بين حقل الهدف التجريدي المتمثل ببيان شخصية الرسول(ص) العظيمة ،وحقل المصدرالملموس الجلي بالتربع والرقي على جميع السمات الخلقية الرفيعة، فكأنّ الرسول (ص) تربع على الصفات النبيلة والأخلاق العظيمة وارتقاها ،ومن هنا تكون لمورفيمات الجر والظروف والجهات المكانية استعمالات مجازية إدراكية مختلفة تدرك في سياقاتها التداولية ،فإذا قيل (القلم فوق المنضدة) تكون صورة الفوقية مفهومة باستلزامها ملامسة (المنضدة) ومصاحبة القلم لها ، وإذا قيل (الطائرة فوق البناء) ،فالفوقية الحاصلة دالة على الحركية من غير الملامسة ، وبهذا يكون المتلقي "أمام رمزية الحقيقة التي تكشف عن معنى مزدوج يصل بين القيمة ومكانية الحركة"[٤١] ويستنتج من ذلك أنّ الوحدات التركيبية تكتسب سمة (التعددية الدلالية /Polysemy) أو مايسمى ب (التماثل البنائي /المشترك اللفظي) ، عن طريق هذه الصور الاستعمالية المختلفة.

٢. نظرية الأحياز العقلية (Mental Spaces) تعزى للغوي (فوكنر/ Fokner) ،وتتلخص في أنّ صناعة معنى معين تكون بالانتقال من العالم الواقعي إلى عالم الذهن ، وتجليات هذا في اللغة كثيرة ،ومن أبرزها أسلوب الشرط والتمني ،فحينما يقال (لو سعيتَ بلغتَ مُناك) ،يكون بلوغ المنى أمراً ذهنياً غائباً عن الواقع الحالي ، وكذلك حينما يتمنى المرء شيئاً ما ،فيصوره بصور مستقبلية كما ورد ذلك في قول الشاعر:

فياليتَ الشبابَ يعودُ يوماً، فأخبّره بما فعلَ المشيبُ[٤٢]

فلشدة وقع الشيب وعظامة ضرره صوره الشاعر بصورة ذهنية مستحيلة وهي عودة الشباب ،وهذا مالايتحقق في العالم الواقعي . وكذلك قوله تعالى على لسان النبي زكريا "واشتعلَ الرأسُ شيباً"[٤٣] ،الذي أراد به غلبة الشيب وكثرته وسعة انتشاره ،فصوره بصورة غيرواقعية لحالة الشيب - لأن الاشتعال سمة للنار وليس للشيب- المشبه بالنار في الاشتعال لبيان درجة سرعة الشيب وسرعة اشتماله لكل الشعر .

٣. نظرية الأطر أو الأطر الذهنية ل (فيلمور/Fillmore) ويقصد بها أن المفهوم الواحد يحتوي على مجموعة أطر،فعملية إنشاء المعنى قائم على تأطير المفاهيم المشتركة ، والإنسان يدرك مفهوماً واحداً بمفاهيم مقترنة به كما في معنى (المطعم) مثلاً ،الذي يستدعي فهم مفاهيم أخرى مرتبطة ومقرونة به، أو مفهوم البيت الذي يفهم منه كل ملحقاته من الغرف والحديقة والسطح والفناء ،وهذا ماسمّاه القدماء بدلالة التضمّن.[٤٤]

٤. نظرية المجاز المعاصر ل (لايكوف /Lakoff) ،التي بيّنها في كتابه (المجاز الذي نحيا به/(The Metaphor We live By) ،وهذا الكتاب يؤكد أنّ اللغة كلها مجاز واسع.

نتائج البحث

لقد تمخض البحث عن طائفة استنتاجات يتلخص أهمها فيما يأتي:

- يعد علم الدلالة الإدراكي حقلا لسانيا بكرا ،ببحثه عن ماهية العقل والنظام المفهومي وكيفية انتظام هذا النظام وكيفية إعطاء معنى وقيمة دلالية للتجربة البشرية. ولتعدد مرتكزاته التأسيسية هذه وصعوبتها ،انحصر هذا العلم في نطاق اللسانيات الغربية ،فلم يحظَ بمعالجة

تنظيرية وتطبيقية متكاملة متعمقة لجميع مبادئه وأسسه ونظرياته في اللغويات العربية ،لقلة الإلمام والإحاطة الكلية بتفاصيله وتفرعاته.

- يعنى علم الدلالة الإدراكي ببحث العلاقة بين اللغة والعقل وتجربة الإنسان في العالم الطبيعي وفي الفضاء الاجتماعي والثقافي ،إن بناء المعنى نابع من التجربة الإنسانية، ولاسيما التجربة الجسدية أو الحسية اتكاءا على المبدأ القائم على منظور أن طبيعة التصورات الإنسانية ماهي إلا نتاج الطبيعة الحسية العضوية،التي تدخل في تكوين بنى الفهم التي يُفهم بها العالم الخارجي وتتمثل هذه البنى الفهمية التصورية في عدد من الآليات الإدراكية التي تشمل ما يأتي:-

١- استقبال المعطيات الحسية الناجمة من تفاعل الجسد والعالم المحيط.
٢- تحويل هذه المعطيات إلى (مفاهيم/تصورات) وتخزينها.
٣- إيجاد تصورات مجردة من الأمثلة المحسوسة.
٤- تعلم قواعد الاستجابة الملموسة من التجربة وتخزينها ذهنياً.
٥- تمثيل المواقف الحاضرة باستخدام التصورات التي تحيل إلى الإحساسات.

- إمكانية إضافة مباحث دلالية قيمة إلى حقل البحث الدلالي العربي ، وذلك بالعودة إلى منابت النظريات والتوجهات اللسانية الإدراكية ،وتبيانها في عرض نظري واضح ،ثم إجراء تحليل مؤسَّس على الدقة والوعي بما يحويه الإرث اللغوي العربي ،لإبراز الرؤى والآفاق الدلالية في الفكر اللغوي العربي القديم .
- الانتقال بالنظر إلى التعبيرات الاستعارية والمجازية عموما على أنها ظاهرة لغوية مُجسَّدة في كونها محض اختيارأسلوبي وفن أدبي ،إلى النظر إليها على أنهاظاهرة إدراكية مرتبطة بطرق عمل الذهن البشري في إنشاء أنساقه التصورية conceptual systems وتشفير بناه ونماذجه المعرفية، وفي ضوء هذه الرؤية الإدراكية يمكن إجراء قراءات تأويلية إدراكية مستحدثة للنصوص اللغوية بتحليلها على وفق المعطيات الإدراكية الدلالية التي تُقرّب التصورات والمفاهيم المتعلقة بها إلى العالم الواقعي أكثر وتعيدها إلى دائرة التجارب الإنسانية وتراكماتها المعرفية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً / الكتب المطبوعة :

- القرآن الكريم.
- الاستعارات التي نحيا بها – جورج لايكوف ومارك جونسن- ترجمة :عبدالحميد جحفة – دار توبقال للنشر- الدار البيضاء- المغرب – ط ١- ١٩٩٦م.
- الإيضاح في علل النحو- أبوالقاسم الزجاجي (ت٣٣٧ه)- تحقيق :د.مازن المبارك – دار النفائس- بيروت –لبنان - ط ٦- ١٤١٦ه/ ١٩٩٦م.
- الإيضاح في علوم البلاغة – الشيخ الإمام الخطيب القزويني(٧٣٩ه)- تحقيق :محمدعبدالقادر الفاضلي –المكتبة العصرية –صيدا – بيروت – ١٤٢٤ه / ٢٠٠٤م.
- تاج العروس من جواهرالقاموس-السيدمحمدمرتضى الحسيني الزبيدي – تحقيق:عبدالستارأحمد فراج-دار الجيل-الكويت-١٣٨٥ه/١٩٦٥م.
- التصوير الفني في القرآن- سيد قطب-دار الشروق-القاهرة-مصر-ط٢٠-٢٠١٠ م.
- تفسيرالفخرالرازي المشتهر بالتفسيرالكبيرومفاتيح الغيب-الإمام محمدالرازي فخرالدين ابن العلامة ضياءالدين عمر(ت٦٠٤ه)- دار الفكر-بيروت-لبنان-ط١-١٤٢٦ه/٢٠٠٥م.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ ه) – تحقيق :خليل مأمون شيما – دار المعرفة –بيروت –لبنان- ط٣-١٤٣٠ه/٢٠٠٩م.
- جوانب من نظرية النحو- نعوم جومسكي – ترجمة –مرتضى جواد باقر- مطابع جامعة الموصل- ١٩٨٥م.
- دلائل الإعجاز- الشيخ الإمام أبوبكر عبدالقاهربن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ ه أو ٤٧٤ه) –تعليق :أبو فهر (محمود محمد شاكر)-مطبعة المدني بمصر- دار المدني بجدة-ط٣- ١٤١٣ه/١٩٩٢م.
- ديوان أبي العتاهية –دار صادر-بيروت- ط١- ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.
- صفوة التفاسير-محمدعلي الصابوني-دارالقرآن الكريم-بيروت-ط١-١٤٢٠ه/١٩٩٩م.
- الظاهراتية وفلسفة اللغة- تطور مباحث الدلالة في الفلسفة النمساوية- د.عزالعرب لحكيم بناني – أفريقيا الشرق- المغرب –ط٢- ٢٠١٣م.

- علم اللغة الاجتماعي-د.هدسن- ترجمة : محمود عبدالغني عياد- مراجعة : د.عبدالأمير الأعسم- دار الشؤون الثقافيةالعامة- بغداد-العراق-ط١-١٩٨٧م.
- فتح القدير –محمد بن علي بن ممد الشوكاني(ت ١٢٥٠ه) - دار الأرقم بن أبي الأرقم – دار القلم –بيروت – لبنان.
- كتاب التعريفات- علي بن محمد بن علي الجرجاني (٨١٦ه)- تحقيق:عادل أنور خضر- دار المعرفة-بيروت-لبنان-ط١-١٤٢٨ه/٢٠٠٧م.
- كتاب سيبويه- أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠ه)-تحقيق وشرح :عبدالسلام محمد هارون- مكتبة الخانجي بالقاهرة- ط٤-١٤٢٥ه/٢٠٠٤م .
- لسان العرب –للإمام العلامة ابن منظور (ت٧١١ه)- دار الحديث- القاهرة- ٢٠٠٣م.
- المستصفى من علم الأصول - الإمام أبوحامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ه)– تحقيق :د.محمد يوسف نجم- دار صادر-بيروت-ط١-١٩٩٥م.
- المطوّل شرح تلخيص مفتاح العلوم – العلامة سعدالدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٢ه) –تحقيق :د.عبدالحميد هنداوي- دار الكتب العلمية –بيروت – لبنان –ط٢- ٢٠٠٧.
- معجم الصِّحاح –الإمام إسماعيل بن حماد الجوهري(ت ٣٩٣ه)- عناية :خليل مأمون شيما- دار المعرفة –بيروت –لبنان- ط٣- ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م.
- معجم مقاييس اللغة –أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي (ت٣٩٥ه) – تحقيق:إبراهيم شمس الدين –دار الكتب العلمية- بيروت –لبنان –ط٢- ٢٠٠٨م.
- مفتاح العلوم – أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ه)- تحقيق : د. عبدالحميد هنداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط٢- ٢٠١١م.
- المقتضب-أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٥ه)-تحقيق:حسن حمد-مراجعة:د.إميل يعقوب-دار الكتب العلمية-بيروت - لبنان-ط١-١٤٢٠ه/١٩٩٩م-
- النص القرآني من الجملة إلى العالم- وليد منير- المعهد العالمي للفكر الإسلامي القاهرة- ط١- ١٩٩٧م / ١٤١٨ه.

ثانياً / البحوث المنشورة في شبكة الإنترنيت:

- الاستعارة مقاربة إدراكية- منتديات ستار تايمز-أرشيف اللغات واللهجات
- العرب سبقوا الغرب في اللسانيات – د.لبانة مشوح-ندوة (في اللسانيات وآفاقها)-مجمع اللغة العربية بدمشق –الجزيرة نت.
- علم الدلالة التأريخي والتزامني-الحقل الدلالي ل(قوم) في ضوء علم الدلالة الإدراكي ونظرية المجاز المفهومي – توماس هوفمان –جامعة كوبنهاغن- ملخص بحث منشور في الإنترنيت ضمن محاور مؤتمر الدراسات القرآنية الثالث في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية (النص والتأويل والترجمة)- مجلة التسامح- موقع (التفاهم).
- اللسانيات الإدراكية- د.عادل الثامري- جريدة (تكست).
- اللسانيات الإدراكية- أ.د.عبدالرحمن بودرع- منتدى اللسانيات ،مجالس ومقاهي الفصحى.
- اللسانيات الإدراكية-أفق نظري وآفاق تطبيقية- د.محي الدين محسب- منتدى شبكة اللغويات العربية.
- منهجية دراسة الاستعارة من الأساس اللغوي إلى التأسيس الإدراكي –أ.د.محي الدين محسب-موقع الإيوان.

ثالثاً/ الكتب الإنكليزية:

-A Cognitive Semantic Study Of Some Neo – Classical & Romantic Poems –Dr.Abbas Fadhil Lutfi Al Bayati – Koya University – Unpublished PHD Dissertation -2012.

- A Rough Guide To Cognitive Linguistics – Dirk Geeraerts – Mouton De Gruyter- Berlin – New York -2006 .

- Cognitive Linguistics –William Croft & D.Alan Cruse Cambridge University Press -2004.

-Cognitive Linguistics : An Introduction - Vyvyan Evans & Melanie Green – Edinburgh University – Press – 2006.

How to think about meaning –Saka –Dordrecht Springor-2007. -

Semantics – John Saeed – Oxford Black Well-1997 .

الهوامش

[١]- اللسانيات الإدراكية - بودرع: ١.
[٢]- الاستعارات التي نحيا بها: ٢١.
[٣]- منهجية دراسة الاستعارة : ١.
[٤]- لسان العرب ٣/٣٤٠-٣٤٢ مادة(درك).
[٥]- ينظر: معجم مقاييس اللغة : ١/٤٠٤، ومعجم الصحاح : ٣٤٠ وتاج العروس: ١/٦٦٨٦
[٦]- الاستعارات التي نحيا بها: ٥-٦ .
[٧]- اللسانيات الإدراكية – الثامري: ٣ .
[٨]- م.ن: ١.
[٩]- علم الدلالة التأريخي والتزامني: ٤.
[١٠]-اللسانيات الإدراكية – محسب: ١
[١١]-جوانب من نظرية النحو: ٦٧-٧١.

١٢- علم اللغة الاجتماعي : ١٧١-١٧٧.

١٣- See:Semantics - John Saeed :p. 299.

[١٤]- See:Cognitive Linguistics:p. 2 .
[١٥]- See: How to think about meaning :p. 32 ff.
[١٦]- See: A R ough Guide To Cognitive Linguistics:p. 1 ff. & A Cognitive Semantics Study :p.26 ff.
[١٧]- الاستعارة مقاربة إدراكية: ١.
[١٨]- دلائل الإعجاز: ٤٩-٥٠.

١٩- اللسانيات الإدراكية - محسب: ٢.
[٢٠]- مفتاح العلوم: ٢٥٠ والإيضاح في علوم البلاغة: ١٦ والمطول: ١٧.
[٢١]- مفتاح العلوم: ٢٥٦ والإيضاح في علوم البلاغة: ١٦ والمطول: ١٧.
[٢٢]-الاستعارة مقاربة إدراكية: ١.
[٢٣]- نور/٣٥.
[٢٤]- الشورى : ١١.
[٢٥]- صفوة التفاسير ٢/٢٣٢ وينظر: تفسير الرازي ٨/٢٣/٢٠٢-٢٠٤ و تفسير الكشاف: ٧٣٠ وفتح القدير: ٤/٣٣-٣٤.
[٢٦] - إبراهيم : ١.
[٢٧] -الأحزاب : ٤٦.
[٢٨]- الأعراف: ١٧٥-١٧٦.
[٢٩]- الأعراف: ٤٠ .
[٣٠]- إبراهيم: ١٨.
[٣١]-البقرة: ٢٦٤.

[٣٢]- الظاهراتية وفلسفة اللغة:٩١.
[٣٣]- التصويرالفني :٣٦.
[٣٤]- الكتاب :٢٣/١-٢٤ والمقتضب :٥٥/١-٥٦ و دلائل الإعجاز:٤٠٥-٤٠٦ .
[٣٥]- الإيضاح في علل النحو:٦٦.
[٣٦]- العرب سبقوا الغرب في اللسانيات :١.
[٣٧]- See: Cognitive Linguistics: p.176ff,222ff,230ff,248ff,296ff,363ff,400ff & A Cognitive Semantic Study:p.34ff.
[٣٨]-الاستعارة مقاربة إدراكية:٢.
[٣٩]- منهجية دراسة الاستعارة:٢.
[٤٠]- القلم:٤.
[٤١]- النص القرآني من الجملة إلى العالم :٩٧.
[٤٢]-ديوان أبي العتاهية:٣٠.
[٤٣]- مريم:٤.
[٤٤]- المستصفى من علم الأصول:٤٠/١ والتعريفات:٩٩

Abstract

The present paper is an attempt at explaining cognitive semantics, which is a component of cognitive linguistics, a new trend in linguistics that focuses on the conceptual aspects in linguistic analysis. It brings together a numbers of different fields, e.g. psycholinguistics, the philosophy of mind, artificial intelligence, cognitive psychology, etc.

Cognitive semanticists have provided evidence of the rhetorical devices being part of the conceptual devices that we use in different aspects of our life, especially in trying to make sense of the word around us.

Meaning construction and meaning construction devices and strategies are in the heart of cognitive semantics. In making sense of the world around them, human being take recourse to their 'encyclopedic knowledge' and utilize whatever means that help in getting messages in their heads across.

The paper has tried to expose the reader to some of the major principles and concepts of cognitive semantics, together with some of their applications to different texts.